

قرر فرانسيسكوس جونيوس ، امين مكتبة اليكتور الذي عُيّن كأستاذ لعلم اللاهوت في لايدن عام ١٥٩٢، استخدام هذه الترجمات لشرح وتوضيح القسم الجديد من الكتاب المقدس ، وقام عام ١٥٧٨ بنشر ترجمة لاتينية من الترجمة العربية لآعمال الرّسل والرسائل الانجيلية للكورنثيين كما يبدو انه قام باعداد تراجم من العربية لرسالة جون الاولى ، رسالة بولك Galatians ورسالة للعيريين ، الا انه لم ينشرها (٧). لقد ايد الاحتمال بان الترجمة العربية هي اقل تحريفًا من التراجم الاخرى وبهذا فانها تنقل افكار الرّسل بشكل صادق . لقد كان كريستمان طالبا عند جونيوس ، وقد جمع بين هدف استاذة والغرض التعليمي من توفير مواد عربية للقراءة وذلك عندما اضاف قطعة بالعربية من مخطوطة بوستل الخاصة بالرسالة الانجيلية للفيليبين الى كتابه Alphabetum arabicum .

لقد حدا المتخصصون باللغة والادب العربي في نهاية القرنين السادس عشر والسابع عشر حدوكريستمان حيث قام كل من سباي ، تدويل ثيونيسز ، اربينوس ، نيسيلبوس ، بيتراوس في وقت ما بنشر التراجم العربية للمكتب المقدسة . على الرغم من ان بوستل وجونيوس وكريستمان هم الذين ابتكروا اسلوب نشر النصوص الدينية المُفحّحة بالعربية ، الا ان الالهام الاول وراء عملهم هو استرجاع فن الكتب المقدسة الذي كان واضحا في سلسلة الكتب المقدسة بلغات متعددة والذي ظهر منذ بداية القرن السادس عشر - نسخة كومبلوتسيان عام ١٥٠٢ ووزعت لأول مرة عام ١٥٢٢ ، نسخة انغورب المتعددة اللغات نُشرت ما بين ١٥٦٩ و ١٥٧٢ من قبل كريستوف بلانتان ، تبعتها في القرن السابع عشر نسخة باريس المتعددة اللغات (١٦٤٥ - ١٦٢٩) ونسخة لندن عام ١٦٥٧ .

ان فوائده ومخاطر هذا الموقف من اللغة العربية اصبح واضحا بشكل خاص في بداية القرن الثامن عشر عندما كان البرت شخولتنس يُدرّس في لايدن . لقد كان اللاهوتيون مهتمين بدراسة الموضوع وكان الاوصياء متأثرين بالحجج القائمة على الاهمية اللاهوتية للغة من ناحية ، والميل الى اعتبار العربية كتابع للاهوتية المسيحية من ناحية اخرى ، اعاق التقييم الحقيقي للحضارة العربية بنفس الشكل الذي اعاق استخدامها لتحسين فهم العبرية اعتبار العربية كلغة خاصة بنفسها قابلة للتطور بمعزل عن العبرية .

واخيراً فقد اعاق وجهات نظر بوستل تطور ونمو الدراسات العربية على عكس سكاليجر الذي سبق عصره بخياله الواسع في تحقيق ذلك .

على الرغم من انه ابتدأ دراسة العربية على اساس تراجم الكتاب المقدس ، فقد لاحظ سكاليجر مدى ضيق وتحديد هذا الاسلوب . لم تساعد المفردات المحدودة على توسيع نطاق الاطلاع على الحضارة العربية وقد اشار بازدرء الى " اولئك الذين اعتبروا انفسهم متخصصين في العربية وارادوا تدريسها بعد قضاء ثلاث ساعات في قراءة رسالة بولين الانجيلية " (٨) . لقد اكد سكاليجر على اهمية ابتداء طالب العربية بالقرآن ، وهذا يعني ، في القرن السادس عشر ، الحصول على المخطوطة العربية للنص وقراءتها بجانب الترجمة اللاتينية من قبل الانجليزي روبرت اوف كيتون وعلى حساب بيترا اوف كلاني في عام ١١٤٣ والتي أُعدت للنشر عام ١٥٤٣ من قبل ثيودور بيبلياندر . " ليس باستطاعتك اتقان العربية دون القرآن والعبرية دون الكتاب المقدس " هذا ما قاله سكاليجر للعلامة الفرنسي اسحاق كاسويون عام ١٦٠٣ وما اكد عليه في مكان آخر عندما اشار الى اهمية قراءة نصوص عربية متعددة ضمن حقول كثيرة ومختلفة (٩) .

لقد ادرك سكاليجر ايضا مدى خطأ اسلوب دراسة العربية عن طريق ربطها بالعبرية . لقد اعترف ان هذا الاسلوب قد ينفذ المبتدئ على المدى القصير ، الا ان التشابه الواضح قد يضل الطالب ويمنعه من فهم الفوارق الحقيقية بين الكلمات على المدى البعيد (١٠) . ان اللغة التي تساعد على فهم العربية اكثر من العبرية هي اللغة التركية (١١) . هذا ليس على اساس التشابه بين اللغتين بل لان الاتراك كانوا اكثر طلاب العربية براعة . ان تجيلهم للغة القرآن مكنهم من اصدار دلائل لتلك اللغة . لذا فان مفتاح فهم العربية بالنسبة لأوروبيين هو معرفة هذه الدلائل - بهذه الفكرة في ذهنهم ، ابتدأ اربينوس و غوليوس بدراسة التركية اولاً ثم الفارسية مستخدمين القواميس الفارسية - التركية - العربية في مطبوعاتهم المعجمية . لقد كان التقارب بين العربية والعبرية احدى الحجج التقليدية لدراسة العربية التي رفضها سكاليجر ، اضافة الى رفضه فكرة استخدام العربية لأغراض

دراسة العربية في هولندا في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاستاذ الدكتور آستير هاملتون

احدث الهولنديون تغييرات جذرية في دراسة العربية وذلك للفترة ما بين ١٦١٠ - ١٦٦٠ . فقاموا اصدروا افضل الطباعات من النصوص العربية ، القواميس والقواعد ، كما واعدوا احسن المكتبات للآعمال العربية في اوربا الغربية . لقد اجتازوا بسهولة واضحة الامم الاخرى ، الالمانية ، الفرنسية ، الايطالية ، الانجليزية والاسبانية الذين كانت بحوزتهم ، وخصوصا الايطاليين والاسبانيين ، في بداية فترتنا مجموعة من النصوص العربية في الفاتيكان والاسكوريال تفوقت على كل ما كان موجودا في الاراضي المنخفضة . يعود هذا التطور الى جهود شخصين : توماس أرتنيوس و جاكوب غولتيوس ، اللذان درسا ودّرسا في جامعة لايدن . يرجع السّر في نجاحهم الى الانتشار التدريجي للدراسات الشرقية في اقدم جامعة في شمال هولندا . (٢) .

يقف وراء ازدهار الدراسات العربية في لايدن شخصية العلامة الفرنسي ، من اصل ايطالي ، جوزيف جوستوس سكاليجر (٣) . باعتباره متضلعا بالدراسات القديمة وذو اهتمام بالغ ومستمر في علم تدوين الاحداث التاريخية ، فان معرفته ودراسته للغات والآداب الشرقية ، وخصوصا العربية ، كان عرضيا الا انه يتمتع برؤيا حول دراسة العربية سبقت عصره وجعلت الهولنديين اسيادا في هذا الحقل خصوصا بعد استمرار هذه الرؤيا من قبل طالبه اربنيوس وطالب الاخير غوليوس . دخل سكاليجر جامعة لايدن عام ١٥٩٢ ، اي بعد (١٨) سنة من تأسيس الجامعة عام ١٥٧٥ . لقد شرع بدراسة العربية قبل سنوات عديدة من هذا التاريخ عندما كان يعيش في باريس في الستينات من القرن السادس عشر و كان انذاك يواجه الصعوبات الناشئة عن سوء وضع تدريس العربية . نادرا ما كان هناك نصوص مطبوعة للتمرين عليها ، ولم يكن هناك سوى قاموس مطبوع وهو قاموس بيدرو للمصطلحات الخاصة بالعربية والاسبانية الذي تم طبعه في غرناطة عام ١٥٠٥ (٤) . اما كتب القواعد فقد كانت قليلة جدا وغير وافية . اول كتاب بهذا الخصوص صدر ، مثل القاموس ، في غرناطة عام ١٥٠٥ من قبل بيدرو

دو آلкала وبعنوان Arte para ligeramente saber la lengua araviga ولم يصدر اي كتاب آخر بهذا الخصوص الى ان قام المستشرق الفرنسي غوليوم بوستل (٥) بنشر كتابه Grammatica arabica عام ١٥٣٨ . درس بوستل العربية في القسطنطينية وجمع عدداً من المخطوطات العربية اعتبرت في ذلك الوقت مجموعة غير عادية . بعد ذلك اختاره سكاليجر ليكون مدرسه . لقد نما سكاليجر افكاره الخاصة به بسبب ردود فعله المعارضة لطريقة بوستل في استخدام اللغة . لقد آمن بوستل ، الذي كان سريع التأثر بالاحلام ، بمبدأ غير واقعي حول امكانية تحويل المسلمين الى المسيحية عن طريق اختيار عدد قليل من المعتقدات المسيحية الغير قابلة للدحض والترجمة الى العربية وعرضها عليهم . مثل العديد من معاصريه ، بالاحص ، سياستبان مونستر ، ثيودور بيبلياندر وأنجيلو كانيني ، فقد اعتبر العربية كلغة منحدرّة من العبرية شأنها شأن اللغة السريانية والآرامية ، وهذا قد يساعد اللاهوتيين في فهم العبرية بشكل افضل ويلقي الضوء على بعض المصطلحات الغامضة في التوراة والكتابات الحبرية .

يبدو ان سكاليجر لم يكن مقتنعا ببوستل كمدرس للعربية ليس فقط بسبب الافكار حول الموضوع التي لم يشاركه فيها بل ايضا بسبب طريقة التدريس التي اوجدها بوستل واتبعها كاتبان المانيان متخصصان في وضع الكتب المدرسية العربية وهما : جاكوب كريستمان ، الذي ظهر كتابه حول الحروف الابجدية العربية Alphabetum arabicum عام ١٥٨٢ و روثغر سباي الذي ظهر كتابه حول القواعد العربية Compendium Grammatices Arabicae عام ١٥٨٣ . ان الطريقة التي اتبعها هؤلاء وبعض المتخصصين في اللغة والادب العربي ، هي استخدام التراجم العربية لبعض اجزاء الانجيل للتمارين اللغوية البسيطة . ويعود الفضل في احتياز مكتبة اليكتور بالاتين في هايدلبرغ على مجموعة هامة من الترجمات السريانية والعربية للانجيل ، الى بوستل التي جلبها معه عند عودته من ليفانت (٦) .

Plantiniana في لايدن (١٩). لقد وصل رافالنجيوس الى لايدن عام ١٥٨٥ لتولي ادارة دار الطباعة كما وتم تعيينه كبروفسور للعبرية في الجامعة لمدة الـ (٢٠) سنة اللاحقة . لقد كان عنده المام واسع في اللغات الشرقية ولقد ساعد حماه في اصدار الكتاب المقدس بلغات متعددة .

ان فضل اتقانه للعربية يعود الى بوسنل (الذي عمل ايضاً على اصدار نسخة انتورب من الكتاب المقدس) ، ولكونه استاذ للعبرية فقد كان على استعداد لاعطاء التعليمات الخاصة باللغة العربية . وبهذا الشكل فيمكن القول عنه بأنه ابتكر دراسة هذا الموضوع في لايدن ، ومع ذلك فإنه في السنوات الاخيرة من حياته فقط كان عنده الوقت والحافز الكافي لتنمية اللغة بالشكل النظامي الذي كان يرغب فيه . ان احد الاسباب التي دعت الى طلب نقش الحروف المطبعية العربية هو لاستخدامها في طبع الجمل المقتبسة العربية في النسخة المنقحة من كتاب De emendatione temporum لسكاليجر . الهدف الاخر هو طبع قاموسه العربي الذي كان مشغولاً بتجميعه اضافة الى كتاب القواعد العربية (الذي فقدته فيما بعد) ، ونعرف من مقدمة قاموسه الذي نُشر عام ١٦١٣ بأنه كان مُخصص جزئياً للشخص الذين عندهم تعاملات تجارية مع العالم الناطق باللغة العربية . لم يستخدم رافالنجيوس حرفه العربي كثيراً قبل وفاته عام ١٥٩٧، الا انه في العام ١٥٩٥ قام بطبع قائمة بنماذج حرفه العربي Specimen Characterum Arabicorum اضافة الى طبعه رسالة توصية بالعربية فقط مؤقعة من قبل الامير فان اورانيا للملاح المستكشف كورنيلس هاوتمان ومسافريه البحريين للشرق الاقصى (٢١).

هذا يعود بنا الى السبب الملح وراء دراسة العربية في هولندا : العلاقات الدبلوماسية والتجارية المتزايدة مع الامبراطورية العثمانية والمغرب ، الحاجة المتزايدة للمترجمين ومتطلبات التاجر والتلاح والمسافر . في تلك الفترة كانت الحكومة ترسل في طلب اساتذة لايدن الذين يعرفون العربية - مثل سكاليجر، رافالنجيوس ، ثيونس ، اربيتوس وغوليوس لترجمة الاوراق الرسمية . لقد اشتكى سكاليجر حول الصعوبات المتضمنة في ترجمة هذه الوثائق المسهبة في التفصيل والتي تتطلب المام جديد في مفردات جديدة (٢٢) ، وقد كانت هذه الاوراق الرسمية بين المواد التي قام رافالنجيوس بتجميعها لاعداد قاموسه . في الوقت نفسه زاد الاهتمام بالشرق بعد ظهور سلسلة من اعمال الجغرافيين والمسافرين - وصف ليو لافريقيا ، كتب بوشيق عن تركيا ، بيير جيليس ، بيير بلون ، دوسا وآخريين اضافة الى وصف ثيفيت للكون واطالس اورتلبيوس ، ميركاتور وبلاو ، رحلات كليباردوس ، نيكولاس دونيكولاوي و لنشوتن ، وصف الرحلات الى ليفانت والارض المقدسة من قبل برايدنباخ و راوولف . ان اهمية اللغة في التجارة مع لايدن حثت مسؤولي الجامعة بتوفير اللزم لتدريس العربية . بعد وفاة رافالنجيوس بسنتين ، تم اختيار فيليبوس فيردناندوس (٢٣) ، يهودي من اصل بولوني معتنق للمسيحية ، لتدريس العربية ، الا ان مجرى حياته العملي انتهى بسرعة بسبب وفاته المفاجيء عام ١٦٠١ . لقد بقي هذا المنصب شاغراً طيلة الـ (٨) سنوات الاخيرة من سكاليجر التي انتهت عام ١٦٠٩ . لم يتغير الوضع قبل عام ١٦١٢ الذي يعتبر من اهم الاعوام في تاريخ دراسة العربية في لايدن .

في شباط (فبراير) ١٦١٢ اذعن اوصياء الجامعة اخيراً لألحاح جان ثيونس واختاروه لتدريس العربية . عمل ثيونس ((يوهانس انطونيدس) كعامل طباعة وبائع للكتب وعامل حانة في امستردام (٢٤) . كان شخص متعدد المواهب حيث قام في مرحلة متأخرة من حياته بتصميم جهاز لتزويد الماء في داره في امستردام ادهش العديد من المسافرين الانجليز . لقد ابتدأ دراسته للعربية تحت اشراف رافالنجيوس الا انه حسن المام بهذه اللغة عن طريق تأجير غرف الى سكرتير البعثة المغربية في هولندا . على الرغم من ان العديد من المتخصصين في الادب واللغة العربية الذين تبعوه والذين كانوا افضل منه ، حاولوا الاضرار به الا ان المام ثيونس بالعربية والطباعة قد اسهم بدون شك في ازدهار Officina Plantiniana كدار للطباعة العربية .

على الرغم من ان ابناء فرانس رافالنجيوس ، جوست وفرانس ، وضعوا الخطط للتخلص من الممواد الطباعية التي كانت بحوزتهم ، فقد صمما اولاً طبع قاموس والدهم العربي بمساعدة ثيونس عام (١٦١١) . نادراً ماتم استعمال الاحرف العربية بعد وفاة والدهم عام ١٥٩٧ باستثناء طبع الكلمات والمقاطع

في كتاب سكاليجر De emendatione temporum عام ١٥٩٨ ، في كتاب دوسا De itinere suo

تيسيرية ، لتمكين اللاهوتيين الغربيين من دحض القرآن وتحويل المسلمين الى المسيحية (١٢) . لقد نسب سكاليجر الى دراسة العربية اهداف اكثر عملية . لقد برز من بين العرب افضل الاطباء ، المتخصصين في علم الرياضيات ، الفلكيين ، الجغرافيين ، المؤرخين والمدونين . لقد استفاد هو نفسه من هولاء المؤرخين والمدونين في اعداد كتابه De emendatione temporum حول تدوين الاحداث ويُعَلَّل اثر سكاليجر اهمية المطبوعات التي اعدتها طلبته حول العلماء العرب والتي ساهمت الى حد كبير في معرفة الغربيين بالحضارة الشرقية .

من وجهة النظر العملية فقد امتد اثر سكاليجر الى ابعد من ذلك . ان افكاره المتقدمة حول دراسة العربية كانت متضمنة في كتابه Epistolae omnes الذي اعده للنشر دانييل هاينسوس وطبع عام ١٦٢٧ ، الا ان اسهامه العملي العظيم تمثل في وضع الاسس لمجموعة المخطوطات العربية العائدة لجامعة لايدن (١٣) . ان النصوص التي جمعها سكاليجر بشكل مُجَد والنصوص التي حوّلت اليه من القاهرة ، الاسكندرية ، مرسيلا واماكن اخرى ، كوّنت مجموعة محدودة في الحجم والنطاق اذا ما قورنت بما تملكه الفاتيكان والاسكوريال . ومع ذلك فقد اعتبرت في ذلك الوقت اعظم مجموعة في اوروبا الشمالية وفي عام ١٦١٢ سافر المقيم الانجليزي المتخصص في العربية ويليم بوديل الى لايدن بغرض استشارة هذه المجموعة . من وجهة نظر بوديل ، فان من اعظم كنوزها هو التراجم العربية للقسم الجديد من الكتاب المقدس Thesaurus linguae arabicae التي جمعها سكاليجر بنفسه (١٤) .

عندما جاء سكاليجر الى لايدن عام ١٥٩٢ ، تقدمت الدراسات العربية عما كانت عليه اثناء وجوده في باريس . بالاضافة الى ظهور الكتب المدرسية في بداية الثمانينات من القرن السادس عشر والتي اعدتها كريستمان وسباي ، فان من اهم المساهمات في هذا الحقل جاءت من ايطاليين . ان للايطاليين تقليد مبعث في تدريس العربية ، خصوصاً عندما يتعلق الامر بدراسة رموز الكتاب المقدس (١٥) . على الرغم من ان اول كتاب احتوى على الحروف العربية هو لبرايدنباخ Peregrinatio in Terram Sanctam الذي تم طبعه في ماينز عام ١٤٨٦ ، فقد عوّض الايطاليون بسرعة عما فاتهم . فقد ذكر انه تم طبع قرآن في البندقية عام ١٤٩٩ (١٦) ، وفي عام ١٥١٤ ظهر في مدينة فانو الصغيرة على بحر الادرياتيک ، كتاب صلاة السواعي او Septem horae canonicae الذي صدر لمنفعة الاقباط المصريين . تبع ذلك ، في عام ١٥١٦ ظهور كتاب حول الترانيم والصلوات المقدسة باللغات التالية: العبرية ، اليونانية ، الآرامية والعربية في اعمدة متوازية ، تم طبعه في جنوة ، في عام ١٥٨٤ ظهر كتاب الصلوات الماروني بالعربية ولكنه طبع بالحروف السريانية على حساب البابا جريجوري الثالث عشر . في العام نفسه تأسست دار طباعة مديسيا في روما (١٧) وذلك بتشجيع من الكاردينال فرديناندو دو مديسي الذي اصبح فيما بعد دوق توسكاني العظيم . لقد اصبحت اول دار طبع اوروبية تنشر بالعربية بشكل منتظم وكان يديرها المستشرق جيوفان باتيستا ريموندي ، وقد قامت هذه الدار ما بين ١٥٩٠ - ١٥٩٥ بنشر سلسلة من الكتب العربية - نسختين من الانجيل (واحدة بلغتين العربية واللاتينية ، والاخرى بالعربية فقط) ، بحثين حول علم تركيب الكلام وتكوين الجمل لمختصي عرب في علم القواعد ، القافية لأبن الحاجب ومايُسمى بالجرومية ، مختصر لجزء من كتاب نزهة المشتاق للجغرافي الادريسي ، كتاب القانون لابوسينا ، ترجمة ناصر الدين الطوسي لكتاب اقليدس بعنوان العناصر Elements . ان هذه الاعمال التي طُبعت بحروف جميلة ، اصبحت فيما بعد مواد قراءة الزامية بالنسبة للمختصين في اللغة والادب العربي الا انها لم تكن مفيدة بالنسبة للمبتدئين حيث ان جميعها مكتوب بالعربية فقط . كان الهدف من اصدارها هو بيعها للامبراطورية العثمانية . لقد وصل عدد قليل من هذه النسخ الى اوروبا الشمالية ولم يحصل الانجليزي ويليم بوديل المتخصص في اللغة والادب العربي على نسخة من كتاب Elements لأقليدس الا بعد مرور عشر سنوات على تاريخ الطبعة الاصلية عام ١٥٩٤ (١٨) .

لقد كان لسكاليجر اثر مباشر في التطور الرئيسي الاخر في الدراسات العربية . لقد امر صهر بلانتان الاكبر وهو فرانس رافالنجيوس بنقش الحروف المطبعية العربية لدار الطبع Officina

ان مصادر رافالنجيوس محدودة . لقد استخدم جميع المواد المطبوعة المتوفرة مثل معجم بيدرو دو آلقالا عام ١٥٠٥ ، كتاب المزامير المتعدد اللغات لغويستيناني ، مطبوعات دار مديسي و التراجم العبرية الآرامية ، الفارسية والعربية ، المطبوعة جميعها بالاحرف العبرية في القسطنطينية عام ١٥٤٦ . لقد استعمل ايضاً مواد المخطوطات ، القرآن ، الاوراق الرسمية ، العقود وتراخيص سلامة المرور لحاملها مجموعة صلوات المسلمين والشريعة الاسلامية وكتاب سكاليجر *Thesaurus Arabicae Linguae* ان اعتماد رافالنجيوس على الكتابات الحبرية دفعت اربينوس الى الشك بأصالة ونقاوة العديد من الكلمات العربية التي ادرجها ، وقد اظهر اربينوس في قائمته التصحيحية مشاركته لرؤيا سكاليجر حول دراسة العربية عن طريق استعمال ما لا يقل عن ثلاثة قواميس عربية - تركية حصل عليها اثناء رحلاته . يُعتبر قاموس رافالنجيوس غير وافي بالنسبة للمعايير الحديثة ، حيث انه موجه وبشكل واضح لمجموعة من القراء الملمين باللغة العبرية وذلك لان جميع مصادر الكلمات العربية ملحقة بتسخير عبري . ومع ذلك فان فوائد ومزايا قاموس رافالنجيوس تظهر اذا ما قورن بالمعجم الضخم الذي قام بدويل بتصنيفه والذي بقي في مخطوطة في مكتبة جامعة كامبريدج (٢٧) . في الوقت الذي استخدم فيه بدويل التسلسل الابجدي العبري - ظاهرة مُحيرة بالنسبة للمتخصصين العصريين في اللغة العربية والتي وجدت ايضاً في قائمة الكلمات التي اعدها سكاليجر - نلاحظ ان رافالنجيوس ، مثل جميع مؤلفي المعاجم الذين تلووه ، قد اتبع تسلسل العربية الفصحى . يمكن استخدام قاموس رافالنجيوس في اكثر من اتجاه واحد والفضل في ذلك يعود الى قوائم الكلمات في العبرية ، الآرامية ، اليونانية واللاتينية . ان قاموس رافالنجيوس لا يقتصر على كونه اكثر دقة من قاموس بدويل واكثر تفوقاً في تشكيل الحروف بل انه صادر ايضاً بحجم صغير مما جعله اسهل استعمالاً من مجلدات بدويل الضخمة وخدم الغرض العملي بتزويد المسافر الى الشرق بدليل موثوق فيه وحديث في اللغة العربية . ان اهم انجاز حققه اربينوس في الدراسات العربية هو كتاب القواعد العربية الذي بدأ العمل فيه في باريس والذي اصدرته دار بلانتينايا ايضاً في ١٦١٣ . ان هذا الكتاب ، كما لاحظنا ، لم يكن الاول من نوعه . بالاضافة الى قواعد بيدرو دو آلقالا ، بوسكل وسباي وكتابين حول تركيب الجمل العربية اللذان اصدرتهما دار مديسي في العام ١٥٩٢ ، فقد اصدر المستشرق الالماني بيتر كيرستن كتاب القواعد في برسلو عام ١٦٠٨ ، في عام ١٦١٠ اصدرت دار مديسي كتاب *Liber Tasriphi* حول تغيير الفعل والذي نُشر بلغتين حيث يسهل على الاوروبيين استخدامه . ان كتاب اربينوس *Grammatica Arabica* تفوق بشكل تام على جميع الكتب التي سبقته . انه اول عرض واضح وكامل للقواعد العربية وظل يُستعمل لمدة قرنين كدليل نموذجي في دراسة اللغة العربية . على الرغم من ظهور كتاب القواعد لسيلفستر دو ساسي في القرن التاسع عشر والذي حل محل كتاب اربينوس ، الا ان الاخير بقي كأساس للأعمال الاخرى التي تلتته حتى العصرية منها وبضمنها كتاب القواعد العربية لويليم رايت .

ان *Grammatica Arabica* هو احد المنشورات التي اصدرها اربينوس في حقل الدراسات العربية . في العام ١٦١٣ قامت دار *Officina Plantiniana* بنشر ترجمته العربية (مع الترجمة اللاتينية) لقصة آلام المسيح في انجيل القديس ماثيو ، تبعه في العام ١٦١٤ صدور النسخة المزدوجة اللغة للامثال العربية *Proverbiorum Arabicoe centuriae duae* ، وقد ابتدأ كل من سكاليجر وكاسابون في الترجمة اللاتينية لهذه الامثال وأكملت من قبل اربينوس . على الرغم من هذه الجهود فقد تخلت دار *Officina Plantiniana* عن الطبع بالعربية بشكل تام لسبب يبدو انه يعود الى وفاة مُنصدها للحروف العربية (٢٨) . ونتيجة لذلك فقد أرسلت الحروف المستعملة الى بدويل في انجلترا ، اما فيما يخص الحروف الجديدة التي أُستعملت في طبع الامثال العربية والتمثيليات الشعبية ، فقد ظل مصيرها مجهولاً . على الرغم من موافقة الاخوة رافالنجيوس على بيع موادهم الطباعة لابن خالهم بلنزار مورتيوس في انتسورب عام ١٦٢١ ، فقد اختلف اثرها كلياً . ان النتيجة المباشرة لوفاة منصر الحروف العربية في دار *Officina* هو بقاء اربينوس بدون ناشر .

بعد محاولات عديدة باءت بالفشل - منها محاولته اقناع بدويل السماح له باستعمال الحروف التي اشترها الاول - قرر تأسيس دار طباعة خاص به (٢٩) وامر بنقش الحرف العربية على وتيرة الحروف

Constantinopolitano عام ١٥٩٩ ، في طبعة سكاليجر *Astronomicum* عن مانيليو و كتاب غروتوس *Syntagma Arateorum* في ١٦٠٠ و *Exoticarum Libri decem* لكلوسيو عام ١٦٠٥ . اما من ناحية اخرى فقد قامت الشركة بالاعداد لطبع قاموس فالنجيوس في ١٦١٢ . لقد اقنع تيونس الاخوة رافالنجيوس بطبع ترجمته العربية لرسالة بول الانجيلية لتايتوس ، كما وطلب ويليم بودويل من الاخوة فالنجيوس طبع ترجمته العربية لرسائل يوهانين الانجيلية (٢٥) عندما وصل الى لايدن قادماً من لندن لاستشارة مكتبة سكاليجر ولشراء احرفهم العربية لطبع قاموسه العربي .

على الرغم من اهمية اسهام تيونس في نشاط دار بلانتان للطباعة ، الا ان اسهام اذكي طالب من طلبه سكاليجر ، توماس اربينوس (٢٦) الذي عاد الى هولندا في عام ١٦١٢ ، فاق الاول في اهميته . ولقد اربينوس (توماس فان اربه) في غورينخم عام ١٥٨٤ من عائلة برونستانية مهاجرة من سرتوغنبوس . لقد اهتم بدراساته في مرحلة متأخرة نسبياً وبدأ بتعلم اللغات الشرقية بعد قبوله كطالب في جامعة لايدن عام ١٦٠٢ . لقد درس في هذه الجامعة تحت اشراف وتوجيه سكاليجر ، وعلى الرغم من تركيزه على العبرية (تلك اللغة التي كرس معظم حياته في اتقان نطقها) فقد ناقش امكانية دراسته للعربية مع العلامة الفرنسي العظيم . لقد اعطاه سكاليجر رسالة توصية قدمها للرواد الاوروبيين في حقل اللغة والادب العربي بعد تخرجه من من جامعة لايدن صيف عام ١٦٠٨ . ذهب اربينوس في البداية الى انجلترا وهناك زار ويليم بودويل ومنه تلقى دروسه الاولى في العربية وبعدها بستة اشهر غادر انجلترا متوجهاً الى باريس . هناك التقى بصديق سكاليجر ، اسحاق كاسابون ، ومنه تلقى دروس عربية من القبطي المتجول جوزيفوس ابوداكنوس او بارباتوس واكمل مجموعة الامثال العربية التي ارسلت اصلاً الى كاسابون وترجم جزء منها من قبل سكاليجر وساعد في اعداد مطبوعات دار مديسي للطباعة وملاحظات الهولندي المتوفي والمتخصص في اللغة العربية ، ادريان ويليمز ثم ابتدأ في اعداد كتابه حول القواعد العربية . بعد قضاءه فترة في اكااديمية سومور بتشجيع من فيليب دو بلسيس مورنيه ، عاد اربينوس الى باريس وهناك التقى بأنتن هوبرت ، فرنسي متخصص باللغة والادب العربي ، وتلقى دروساً من التاجر المغربي المتعلم احمد ابن قاسم . في عام ١٦١١ غادر اربينوس فرنسا وسافر لمراجعة اهم المجموعات من المخطوطات العربية في اوربا . قام بزيارة مكتبات ميلانو والبنديقية وذهب الى جنيف ، بازل وهايديلبرغ وهناك استعار كتاب الماكن للاحداث التاريخية في مكتبة بالاتين ومخطوطة ابو الفداء . لقد تعلم في الوقت نفسه لغات شرقية اخرى مثل الفارسية ، التركية والاثيوبية . في الوقت الذي عاد فيه اربينوس الى هولندا في ١٦١٢ ، كان مؤهلاً بشكل كافي لترويج دراسة العربية ضمن الخطوط التي حددها سكاليجر الذي توفي بثلاثة اعوام قبل ذلك التاريخ .

بعد ان قام بتحشيد اهم الاعضاء من طبقة رجال الادب مثل اسحاق كاسابون ودانييل هاينسيوس ، وبعد ان شكك في معظم المتخصصين الاوروبيين الآخرين في حقل اللغة والادب العربي ، ساهم اربينوس في اهانة جان ثيونس الذي كان مُحترقاً بسبب دينه ومُستخف بسبب لغته اللاتينية المعيبة . بعد ذلك تم تعيين اربينوس كأستاذ للعربية في مكانه بداية العام ١٦١٣ وبقي في وظيفته هذه لغاية وفاته بسبب اصابته بمرض الطاعون عام ١٦٢٤ . لقد أسس في هذه الفترة افضل مدرسة للعربية في اوربا . توافد الطلبة من جميع انحاء العالم البروتستانتي للاستماع الى محاضراته . لقد خلفه احد طلبته الذي قام بتدريسه ، جاكوب غوليوس ، للمضي في اكمال منجزاته العظيمة . ان اربينوس مدين كثيراً لفن الطباعة ولناشره الاوائل في دار بلانتان للطباعة . لقد كان هذا الدين متبادلاً . لقد اكمل اولاد رافالنجيوس قاموس والدهم الذي ابتدأوا بتجميعه مع ثيونس ، بمساعدة وارشاد اربينوس . عندما ظهر اخيراً كتاب *Lexicon Arabicum* في عام ١٦١٣ ، كان عملاً فذاً . باستثناء معجم شيندلر المتعدد اللغات (العربية ، التلمودية ، السريانية والعربية) الذي تم نشره في هاروا عام ١٦١٢ ، فان معجم رافالنجيوس هو القاموس العربي الوحيد في الغرب والذي بعث الحياة في آمال بدويل باصدار ما اسماه اول قاموس عربي - لاتيني . مع ذلك فان مقدمة اربينوس لكتابه *Observationes in Lexicon Arabicum* الملحق بالقاموس ، اظهرت بان الطريق لا يزال طويل امام تأليف المعاجم الاوربية - العربية .

لم يكن اربينوس متخصصاً في اللغة العربية فقط، ففي العام ١٦٢٠ تم تعيينه ايضاً كأستاذ للعربية في جامعة لايدن وان مطبوعاته العديدة تتضمن اعمال حول اللغات العبرية، الآرامية، السريانية والارغريقية. ومع ذلك فيمكن القول بان اهتمامه البالغ كان مكرساً نحو العربية اساساً ومهما كانت الحجج التي تضمنتها خطابه الافتتاحي بخصوص دراسة اللغة فانه يمثل حالة خاصة مُستحبة. ان الرعاية والدعم المادي للدراسة العربية في هولندا فاقت اي مكان آخر في اوربا وهذا يعود الى جزء كبير للمصالح التجارية الهولندية والتعاملات المتزايدة مع الامبراطورية العثمانية.

ان منصب استاذ اللغة العربية كان موجوداً في جامعة باريس الا ان وضع لايدن كان استثنائياً تماماً وذلك يعود الى شخصية اربينوس الموهوبة والمال الذي تدفعه له، الى امتلاكها مجموعة سكاليجر من المخطوطات العربية التي اضاف اليها اربينوس الكثير، الى وجود دار طبع مثل Officina Plantiniana مما لا يدعو للشك هو ان اوصياء الجامعة لم يكونوا دائماً بهذه الحكمة وان طريقتهم بالسماح ببيع مجموعة اربينوس من المخطوطات العربية الى دوق باكينغهام عام ١٦٢٥ والتبرع بها فيما بعد لجامعة كامبريدج، كانت واحدة من العلامات السوداء القليلة في تاريخ دراسة العربية في لايدن (٢٢). الا ان سرعان ما عوض هولاء الاوصياء عن خطاهم وذلك بمعاملتهم الكريمة والخيالية لخليفة اربينوس وهو جاكوب غوليوس وطالب الاخير وهو لفينوس وارنر.

ولد جاكوب غوليوس (١٦٢٤) جاكوبوس غول () في لاهاي سنة ١٥٩٦، من عائلة بروتستانتية نبيلة، ومع ذلك فقد نجح خاله، يوهانس هيميلوربوس، في اقناع شقيق جاكوب الصغير بيتر بان يصبح كاثوليكياً وبهذا الشكل اصبح بيتر راهب كرملي وقضى فترة طويلة في سوريا واصدر ترجمة عربية لكتاب Imitation of Christ التي نُشرت في روما عام ١٦٦٣. انتمى جاكوب غوليوس الى جامعة لايدن عام ١٦١٢ ودرس الفلسفة، العلوم القديمة، التاريخ، الطب والرياضيات. ان اهتمامه بعلم الرياضيات هو الذي دفعه الى دراسة العربية. بعد اكماله للدورة الاولى من دراساته عام ١٦١٨ وقضاء بعض السنوات في متابعة اهتماماته العلمية في لاهاي، عاد الى لايدن عام ١٦١٨ لدراسة العربية تحت اشراف اربينوس. ان التقدم الذي حققه كان ملحوظاً وفقاً لجميع المستويات وفي سبتمبر ١٦٢٢ بدأ رحلته الى المغرب بصفة مهندس ملحق بالسفارة الهولندية لخدمة السلطان مولاي زيدان. وبهذا اصبح غوليوس اول مستعرب يزور بلدً عربياً. وخلال وجوده في مدينة صافي، بانتظار نتيجة من سفارته، استمر غوليوس في تحسين لغته العربية واعدّ دراسة شاملة حول تقاليد وعادات المغاربة وبدأ في جمع المخطوطات العربية. وفي هذا الصدد استفاد كثيراً من مساعدة مُدرّس اربينوس، وهو التاجر المغربي الواسع العلم احمد ابن قاسم. بعد عدة شهور من عودة غوليوس الى هولندا، أصيب اربينوس بداء الطاعون. لقد استمر غوليوس في رعايته حتى وفاته في ١٢ مايس ١٦٢٥ حيث أُختير غوليوس كخليفة له. القى اربينوس كلمته الافتتاحية Oratio de laudibus linguae Arabicae في ٣ تموز (يونيو).

قبل ان يبدأ غوليوس بمحاضراته اصرّ على زيارة العالم العربي وحصل على موافقة الجامعة للتمسك كسكرتير اول للقنصل الهولندي في حلب. غادر هولندا في ديسمبر ١٦٢٥ وطالت فترة بقائه في الشرق عن المدة المحددة من قبل الجامعة، الا ان الاخيرة اظهرت شيئا من الحكمة وبعُد النظر بتمديد اجازته. اثناء وجوده في الشرق، قام غوليوس بالسفر مابين منطقة البحر الابيض المتوسط والحدود الفارسية ومن حلب الى القسطنطينية. لم يقتصر نشاطه في هذه السفريات على توسيع نطاق المامه باللغات الشرقية كالتركية، الفارسية والآرامية فقط بل انه قام بجمع عدد من المخطوطات الفارسية، التركية والعربية والتي اعتبرت في ذلك الوقت من افضل روائع الغرب. لقد شكّلت هذه المجموعة العمود الفقري للمخطوطات الشرقية في مكتبة جامعة لايدن. (٣٥). واخيراً بدأ غوليوس بتدريس العربية في لايدن عام ١٦٢٩، وفي شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من العام نفسه تم تعيينه كاستاذ لمادة الرياضيات. من اهم خدماته في حقل تدريس العربية، بالاضافة الى مجموعة المخطوطات، هي تأليف قاموسه العظيم Lexicon arabico-latinum الذي صدر عام ١٦٥٣.

لقد ادعى تلميذ اربينوس، العلامة الفرنسي صموئيل بوخارت، بانه ائلف القاموس العربي الذي الفه عندما صدر قاموس غوليوس، بنفس الطريقة التي تخلى فيها بودويل عن طموحاته بتأليف قاموسه

الصغيرة لدار مديسي. في الوقت الذي أُستخدمت فيه حروفه هذه لم تكن فريدة من نوعها في اوربا الشمالية. فبالاضافة الى حروف بيتر كريستن التي نُقشت في برسلاو، كان هناك المواد الطباعية التي قدم بها سافاري دو برّف (٣٠)، المستشرق الفرنسي العظيم، من روما الى باريس والتي أُستخدمت عام ١٦١٦ لطبع كتاب في الصناعات النحوية للمارونيين جيراثيل صيونيتا وجون هرسونتيا. ان اول كتاب تم طبعه في مطبعة اربينوس، بلغتين، هو قصص لقمان الخرافية وذلك في العام ١٦١٥ تبعه بعد ذلك نصوص الكتب المقدسة المختلفة بالعربية، تاريخ البطريرك جوزيف او صورة يوسف من القرآن اضافة الى كتب في القواعد - منها نسخة الجرومية بلغتين (تم طبعها اولاً من قبل دار مديسي) - مسج كتاب "القواعد المائة" لعبد القاهر الجرجاني -، وكتاب Rudimenta lingua arabica.

الذي هو عبارة عن ترجمة مُنقحة لكتبه الاصيلي Grammatica. في العام ١٦٢٥، اي بعد سنة واحدة من وفاة اربينوس، ظهرت طبعته من Historia saracenic للماكن مع مقدمة لجاكوب غوليوس.

بعد هذا العرض الموجز لمطبوعات اربينوس سنتوقف لنسأل عن اهدافه من دراسة العربية. من الخطأ ان نأخذ بشكل جدي جداً جميع ما ذكره في محاضراته الافتتاحية Oratio de lingua Arabica التي القاها في لايدن بتاريخ ١٤ مايس ١٦١٣. ان المقصود من هذه الخطابات هو الحصول على المعونة المادية وان الحجج المستخدمة هي تكرار للفرضيات العادية والتقليدية اكثر من كونها تعبير صادق عن معتقدات المتكلم. ان الحجج التي استخدمها اربينوس تعود للصف الاول، حيث انه يتناول بأسهاب وتفصيل ثراء وجمال اللغة العربية، وسع المنطقة التي تُنطق بها هذه اللغة وعن اسهام الكتاب العرب في كل حقل. الا انه يعيد عرض الفكرة القديمة بان الامام بالعربية يساعد على فهم اللغتين العبرية والآرامية وانه يمكن استخدامها لاقتناع المسلمين باعتناق المسيحية.

لو القينا نظرة عامة على كل ما قام اربينوس بطبعه لتكون عندنا انطباع مختلف عن اهدافه واغراضه. ان القسم الاكبر من مطبوعاته - اعماله الخاصة بالقواعد والامثال والقصص الخرافية - ذات طابع تعليمي محض: الا وهو تسهيل دراسة اللغة وتوفير نصوص بسيطة يمكن التمرن عليها. ان الاصلح الحقيقية في اسلوبه قد تكون واضحة جدا في كتابه حول قصة يوسف من القرآن - Historia Josephi Patri - archae ex Alcorano Arabice (٣١). لقد أُعتبر هذا الكتاب اول نسخة بعدها علامة لصورة طويلة من القرآن يرافقها تعليق باللاتينية بين السطور وترجمة اكثر تصرفاً في الهامش - الترجمة اللاتينية في القرون الوسطى التي اعدت للنشر عام ١٥٤٣ من قبل بيبلياندر - مع ملاحظاته الفقهية. لقد شارك اربينوس، سكاليجر في الرأي القائل بان القرآن هو اهم نص يمكن بواسطته ممارسة اللغة العربية مما دعاه (اي اربينوس) الى اصدار نسخة منه موشوق بها لتجنب الاخطاء التي تسلت الى ترجمة القرون الوسطى. على الرغم من ان القصد من Historia Josephi هو ليس التعاطف مع الاسلام بطابع الحال، الا انه بدون شك تقييم وتفهم موضوعي للحضارة الاسلامية.

يمكننا ايضاً ملاحظة اثر سكاليجر وراء كتاب Historia saracenic للماكن والذي نقله اربينوس عن مخطوطة في مكتبة بلاتين في هايديلبيرغ. مؤلف الكتاب قبطي عاش في مصر في القرن الثالث عشر واعتبر Historia اول عمل لمؤرخ عربي يظهر في اوربا باللغة العربية. ان احد اهم الاسباب التي دفعت بسكاليجر الى تعلم العربية هو انجازات المؤرخين العرب الموشوق بها في حقل تدوين الاحداث التاريخية. يمكن اعتبار الماكن، قبل كل شيء، كمدون للاحداث التاريخية وان نموذج اربينوس في تحرير نصه اصبح قدوة للمستشرقين الذين جاءوا بعده. واخيراً نصل الى مطبوعات اربينوس الخاصة بالكتاب المقدس ونخص بذلك التراجم العربية للآلام المسيح من انجيل القديس ماثيو، الرسالة الانجيلية للرومان، العهد الجديد من الكتاب المقدس والتوراة. وهنا اتضح بان هدف اربينوس لم يعد تعليمياً فقط. لقد شارك الطموح الواسع الانتشار بين المستشرقين الاوروبيين، في ذلك الوقت، في اصدار كتاب مقدس بلغات متعددة وفيه يتم مقارنة النص الاغريقي للعهد الجديد من الكتاب المقدس بالتراجم الشرقية الاخرى، اضافة الى الانتقاد العلمي لترجمة الكتاب المقدس الى اللاتينية التي قام بها القديس هيرونيموس والتي قبلت من قبل كنيسة روما بدون اي نقد (٣٢).

حول الدراسات العربية ، أصبح بمقدوره ، وبمساعدة غولبيوس ، التوجه الى القسطنطينية . وصل الى تركيا عام ١٦٤٥ وبقي هناك كمقيم هولندي حتى وفاته بعد عشرين عام . على الرغم من انه لم يتقن من صلب استاذ العبرية الذي عُرض عليه من قبل جامعة لايدن عام ١٦٤٨ ، الا انه استمر في استلام المساعدة المالية من الجامعة مقابل جمع المخطوطات . لقد فاقت هذه المخطوطات ، التي احتوت بعضها على ملاحظات وارثر الهامشية ، في العدد والمحتوى تلك التي جمعها غولبيوس وجلبت الانتباه لمكتبة لايدن بشكل ليس له مثيل .

من طلبه غولبيوس الاجانب الآخرين والاقبل شهرة من هوتينغر ووارنر ، هم يوهانس جورجيوس نسيليوس (٤١) من البلاطينية و ثيودوروس بطراوس (٤٢) من فلنزبورغ في شليزويخ - هولشتاين . تعود اهمية كل منهما الى انجازاته الطباعية . اشترى نسيليوس بعض المواد من التسفير والتي كانت معمولية لاربنوس ، واصل بالتعاون مع بطراوس نسخة من رسالة يهودا باللاتينية والعربية والاثيوبية عام ١٦٥٤ . ان استمرار بطراوس على اصدار الكتاب المقدس بلغات عديدة ، حتى بعد وفاة نسليوس في عام ١٦٦٢ ، جعله يتقن العربية ، التركية ، القبطية والارمينية التي اضافها مؤخراً الى اسرته اللغوية . ان كتابه Clavis Linguae Arabicae, Persicae et Turcae الذي طبعه في لايدن عام ١٦٦٢ ، كان مُعداً للتجار والمسافرين الذين رغبوا بتعلم اللغات الشرقية دون ارهاق انفسهم بتكاليف المعلم . عاد يوهانس فابريكيوس (٤٣) من دانزغ الى المانيا بعد دراسته في جامعة لايدن وتدرسه العربية في روستوك التي نشر فيها كتابه Specimen Arabicum عام ١٦٣٨ . لقد استفاد فابريكيوس من مجموعة مخطوطات غولبيوس التي قام بنقل بعضها . اما بالنسبة لكتابه specimen ، الذي تضمن المقام الاول للحريري وقصيدة لأبي العلاء المعري - التي اضافها اربنوس فيما بعد الى نسخته الجديدة من كتاب القواعد - ، فكان يهدف الى تشجيع دراسة العربية في المانيا واوروبا الشمالية . واخيراً ، ينبغي ان نذكر الدكتور السيليزي يوهانس آليخمان (٤٤) الذي جاء الى لايدن في سنة ١٦٣١ ، عندما كان عمره (٣٠) سنة ، وتوفي بعدها بثمان سنوات . لقد كان صديقاً حميماً لجيرارد فوسبيوس وكلوديوس سالماسيكوس ومن ابرع طلبه غولبيوس . اما كتابه الوحيد Tabulae Cebetis الذي طبع عام ١٦٤٠ ، فكان عبارة عن ترجمة عربية لنص اغريقي مشهور وجده في احدى مخطوطات غولبيوس .

ان عدد الالمان الغالب بين طلبه غولبيوس يشير الى تطور دراسة العربية بعد وفاة غولبيوس . ان تمتع لايدن بشهرتها العظيمة كمركز لدراسة اللغات الشرقية يعود الى مكتبتها وليس لخلفاء غولبيوس . لقد شارك خلفاء غولبيوس في التدهور العام . لم يكن اوصياء الجامعة محظوظين في اختيارهم : تعيين السويسري هيرونيوموس هاردر في ١٦٦٩ لتدريس العربية ، الذي استفاد من فرصة سفره الى تركيا لمدة اربع سنوات ولم يعد من القسطنطينية ابداً (٤٥) . لقد مرت فترة طويلة اختفى فيها تدريجاً العربية في لايدن وراء ظل العبرية والسريانية . المستعرب الهولندي الوحيد في بداية القرن الثامن عشر هو ادريان ريلاند (٤٦) الذي كان يحاضر في اولترخت وليس في لايدن . لقد بقت لايدن بدون محاضر للعربية حتى عام ١٧١٠ عندما عاد قسيس سميرنا السابق ، يوهانس هايمان ، الى هولندا وقبّل منصب الاستاذية . في العام ١٧٢٩ ، شارك هايمان في التدريس في جامعة لايدن خلال القرن الثامن عشر ، البرت شخولتنز ، مؤسس اسرة المستشرقين .

ولد شخولتنز (٤٧) عام ١٦٨٦ وتوفي عام ١٧٥٠ . درس في غرونينغن وعيّن حينها كأستاذ للغة العربية في فرانكر عام ١٧١٣ . قدم بعدها الى لايدن في عام ١٧٢٩ ليحاضر في مادة اللغة العربية في جامعة لايدن . بعد ثلاث سنوات من وصوله الى لايدن ، اي في عام ١٧٣٢ ، اصبح استاذاً في هذه الجامعة . لقد أُعتبر شخولتنز ، في وقته ، واحداً من المستعربين ذو المنزلة الرفيعة وكان يتمتع بقابلية فذة مكنته من اعادة اصدار كتاب القواعد لاربنوس وتحرير بعض النصوص العربية الهامة لبعض الشعراء والمؤرخين المسلمين . لو امعنا النظر في بعض افكاره حول اللغة العربية لاكتشفنا انها تطابق النظريات التي كان سكاليجر معارض لها . لقد نادى بتلك النظريات بكل جرأة في محاضراته الاولى Oratio de Linguae Arabicae antiquissima origine : والتي قدم فيها العربية والعربية كشيقتين توأمين يتوجب دراستهن معاً وللغرض نفسه . الهدف من ذلك هو علم اللاهوت . لم يُعرف

العربي عندما سمع بان قاموس رافالنجيوس على وشك الصدور . لقد اعتمد تأليف المعاجم العربية في اوروبا على كمية النصوص ، المعجمية منها وغيرها ، التي كان بمقدور المصنف او المؤلف مراجعتها (٣٦) . اما بالنسبة لرافالنجيوس فقد كان العدد محدوداً . قام بودويل ، قبل وفاته عام ١٦٣٢ ، بمراجعة العديد من النصوص ، ومن اهمها معجم القاموس و الصحاح ، الا ان نتيجة اعماله ، التي فاقت طاقته ، بقت في المخطوطة . في العام ١٦٣٢ قام الايطالي انطونيو جيبي بنشر معجمه الذي اعتمد في تأليفه على القاموس ، الصحاح وبعض الكلمات من القرآن ، الا انه لا يوجد من الاوروبيين من استخدم نطاقاً واسعاً من المواد مقارنة بغولبيوس . لم تقتصر مواد الاخير على القاموس ، الصحاح ، صحاح البلاغة للزمخشري بل انه رجع ايضا الى افضل القواميس العربية - التركية والعربية الفارسية . ان مجموعته من المخطوطات العربية منحتة رؤيا في الحضارة العربية بمستوى لم يصل اليه سوى القليل من الاوروبيين . في عام ١٨٣٧ اكمل مؤلف المعاجم الالمانى ويلهلم فرايتاخ - طالب سيلفستردوساس - قاموساً باربعة مجلدات حلّ فيما بعد محل المعجم السابق الذي أُعتبر في ذلك الوقت قاموس العربية الفصحى . ان المستشرق الاول الذي اجرى تحسينات فعلية على غولبيوس هو الانجليزي ادوار لين عندما ابتدأ قاموسه في الظهور عام ١٨٦٣ والذي انتهى جزئياً عند وفاته عام ١٨٧٦ . وحتى لاين اتبع اسلوب غولبيوس في استخدام القواميس الاصلية للتوصل الى معنى الكلمات . لقد نشر غولبيوس ، مثل اربنوس ، عدد من النصوص العربية التي استخدمت لاغراض تعليمية ومنها : Proverbia quaedam Alis الذي نُشر عام ١٦٢٩ من قبل السفير الذي اشترى مواد اربنوس الطباعية ؛ مقتطفات من مقامات الحريري ، قصيدة لأبو العلاء المعري ، الامثال ، صور من القرآن ، منتخبات شعرية اضافها الى الطبعة الجديدة من كتاب القواعد لاربنوس الذي ظهر عام ١٦٥٦ ، حكاية شاهد العيان عن حياة تيمورلنك للسوري ابن عربشاه Ahmedis Arabiadae Vitae et rerum gestarum Timuri والتي تم نشرها بالعربية فقط عام ١٦٣٦ . ان من اهم مزايا هذه القصة هي انها اضافت الكثير الى معرفة الغرب بالتدوين العربي للوقائع التاريخية . اما في المجال العلمي ، فقد اعاد غولبيوس طبعة بلغتين من كتاب Astronomical Elements للفرغاني والذي صدرت ترجمته اللاتينية لأول مرة عام ١٥٩٠ من قبل جاكوب كريستمان الذي اعتمد فيها على الترجمة العبرية المُحرّفة . اما نسخة غولبيوس فقد صدرت بعد عامين من وفاته (١٦٦٩) . بعد وفاة غولبيوس عام ١٦٦٧ ، أصبحت جامعة لايدن تفتخر بقسمها للدراسات الشرقية . لقد تغيّر وجه الدراسات العربية في جميع اوروبا الشمالية ، حيث أصبحت المكتبات ، التي كانت تشمل في بداية العصر عدد قليل فقط من النصوص العربية من اصل مسيحي ، تمتلك كمية كبيرة من الاعمال العربية وتقوم بتزويد الطلبة بنظرة اوسع في حقل الادب العربي . وما علينا سوى ان نتمعن النظر في المجموعات المتراكمة في مكتبة بودلاين في اكسفورد . حتى بالمقارنة مع العصور الاخرى في دراسة العربية ، فقد بقت جامعة لايدن تحتل مكانة خاصة حيث يتجمع الطلبة من سويسرا ، المانيا ، اسكندنافيا والاراضي المنخفضة للاستماع الى محاضرات غولبيوس .

لو استثنينا الباحث لويس دو ديو - الذي درس تحت اشراف اربنوس وغولبيوس واستخدم معرفته باللغات الشرقية لدراسة الكتاب المقدس فقط (٣٧) ، والدكتور الكاثوليكي الروماني فوبسكوس فورتنانتوس بلمب - الذي درس في امستردام وحاضر في الطب في جامعة لوفان وفيها ترجم جزءاً من كتاب القانون لأبي سينا الى اللاتينية ، فسوف نلاحظ ان اشهر المستشرقين الذين تعلموا على يد خليفة اربنوس ، ليسوا هولنديين بل اجانب . نأخذ على سبيل المثال يوهانس هينريخ هوتينغر . ولد هوتينغر في زوريخ عام ١٦٢٠ ، وبعد ان اكمل دراسته في غرونينغه (٣٩) استقر في لايدن عام ١٦٤٠ وهناك تعلم العربية من غولبيوس وعمل كمدرس لاطفاله الى ان عاد لسويسرا ، الا انه توفي عام ١٦٦٧ وهو في طريق عودته الى لايدن لاستلام وظيفته كأستاذ لعلم اللاهوت . لقد بقت صلاته بلايدن قوية طيلة فترة حياته . ان اهميته كمستعرب تكمن في دراسته للأدب والتاريخ العربي وفي اعماله مثل Promptuarium التي بقت كدليل لا يُقِيم في موقع ومحتوى المخطوطات العربية الاساسية في المكتبات الاوروبية . اما الشخص الآخر الذي فاق هوتينغر في مواهبه فهو لفينوس وارنر (٤٠) من مدينة ليبييه في المانيا . بدأ دراسته للعربية مع غولبيوس عام ١٦٣٨ . بعد ان اصدر عدداً من المطبوعات القصيرة

البحث الذي اعده في جامعة لايدن . ان هذا النجاح والتقدم لا يقتصر ، بطابع الحال ، على اللغة العربية فقط بل يتعداها ليشمل تفهماً افضل للاسلام . وماعلينا سوى مقارنة عنوان كتاب ويليم بدويل العربية Mohammedis Imposturae : اي اكتشاف تزيف وكذب وعقوق محمد الكافر الغاوي وعرض لقصص قانونه المتمثل في القرآن الملعون ، مع العرض المتعاطف للفتوحات الاسلامية في كتاب جيبيون تدهور وسقوط الامبراطورية الرومانية ، الذي اعتمد على دراسات رايسكة وكل من عامل محمد بشيء من المعروف او العدل (٤٩) لكي ندرك مدى التغييرات التي حدثت في اقل من قرنين (٥٠) .

الا القليل عن نظرية شخولتنز الا انها اثارته هجوم عنيف . على الرغم من ان هذا الجدال خارج نطاق هذا العرض الا انه اشار الى انطلاقة جديدة في حقل دراسة العربية ويمكن استخدامه كنهاية مناسبة للعرض (٤٨) . من اهم المعارضين هو الالماني يوهان جاكوب رايسكة الذي جاء الى لايدن عام ١٧٣٨ لمراجعة المخطوطات العربية التي جمعها وارنر . خلال دراسته حول الشعر العربي القديم ، قام بتفنيد اية نظرية حول الصلات ما بين العبرية والعربية . على الرغم من مناداته بافكار تشابه جدا افكار سكاليجر قبل قرنا مضى ، فقد حرر رايسكة دراسة العربية من اللاهوتية والعبرية . ان قسوته في ازدياد شخولتنز تعادل قسوة الاخير في عداوته لرايسكة . على الرغم من مواجهته للاجتماع والاضطهاد وانكار حقه في منصب الاستاذية التي يستحقها اكثر من اي من معاصريه ، فقد نجح في ان يصبح ، وبدون مقارنة ، اعظم مستعرب في وقته : لقد اصبح حقاً اول مستعرب عصري .

لقد تغيرت دراسة العربية عندما بدأت نظريات رايسكة تواجه الاستحسان والقبول بشكل تدريجي . لم تعد العربية تُربط بالعبرية بل اصبحت تُعامل كلغة اسلامية يعتمد فهمها على الالمام بالقرآن وبعض اعمال الشعراء العرب الاوائل في القرن السادس عشر . لقد انتقلت دراسة العربية ، التي احتكرتها هولندا طيلة القرن السابع عشر ، الى امم اخرى مثل الالمانية ، الانجليزية والفرنسية . على الرغم من عظمة انجازات رايسكة في حقل الحضارة العربية والكتيبات اللغوية التي تم تأليفها في لايدن في القرن السابع عشر ، فقد حافظ كل من كتب القواعد لاربينوس وقاموس غوليبوس على قيمته البالغة ولا تزال مخطوطات مكتبة لايدن ، التي جمعها سكاليجر ومن بعده غوليبوس ثم وارنر ، تعتبر اعظم مجموعة عربية في اوربا الغربية . ان جزءاً كبيراً من النجاح الذي حققه رايسكة يعود اصلا الى

ملاحظات

(١) حول مكتبات الفاتيكان والاسكوريال ، راجع Giorgio Levi della Vida, Ricerche sulla formazione del più antico fondo dei manoscritti orientali della Biblioteca Vaticana, Città del Vaticano 1939; Braulio Justel Calabozo, La Real Biblioteca de El Escorial y sus manuscritos arabes, Madrid 1978.

(٢) ان الدراسات الرئيسية حول هذا الموضوع هي W.M.C. Juynboll, Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars van het Arabisch in Nederland, Utrecht 1931; J. Brugman, "Arabic Scholarship" in: Th. H. Lunsingh Scheurleer & G.H.M. Posthumus Meyjes (eds.), Leiden University in the Seventeenth Century. An Exchange of Learning. Leiden 1975, pp. 203-215; J. Brugman & F. Schröder, Arabic Studies in the Netherlands, Leiden 1979.

(٣) ان الدراسات السابقة حول سكاليجر قد حل محلها اعمال Anthony Grafton, Joseph Scaliger. A Study in the History of Classical Scholarship, vol. 1, Oxford 1983.

فيما يتعلق بسكاليجر ودراسة العربية يرجى مراجعة Johann Fück, Die arabischen Studien in Europa bis den Anfang des 20. Jahrhunderts, Leipzig 1955, pp. 47-53.

(٤) ان Fück, Die arabischen Studien, pp. 29-47 تدور حول دراسة العربية في بداية القرن السادس عشر K.H. Dannenfeldt, "The Renaissance Humanists and the Knowledge of Arabic", in: Studies in the Renaissance, 2 (1955).

(٥) حول المام بوستل بالعربية راجع Fück, Die arabischen Studien, pp. 36-44; François Secret, "Guillaume Postel et les études arabes à la Renaissance" in: Arabica, 9 (1962).

الموضوع موجود في مقدمة كتابه William J. Bouwsma, Concordia Grammatica arabica . راجع ايضا Mundi. The Career and Thought of Guillaume Postel (1510-1581), Cambridge, Mass., 1957, pp. 239-241.

(٦) تم مناقشة هذه المخطوطات في G. Levi della Vida, Ricerche, pp. 324-337.

(٧) Fr. W. Cuno, Franciscus Junius der Aelttere, Professor der Theologie und Pastor (1545-1602), Amsterdam 1891, pp. 58-61.

(٨) J.J. Scaliger, Epistolae omnes, Leiden 1627, p. 197; p. 694

(٩) Ibid., p. 233. Cf. also pp. 208, 220.

(١٠) Ibid., pp. 197, 203.

(١١) Ibid., pp. 209, 694-695, 706.

(١٢) Ibid., P. 797.

(١٣) بالنسبة لمكتبة سكاليجر ، راجع Catalogus librorum quos Bibliothecae Iosephus Justus Scaliger legavit في كاتولوج ١٦١٢ في مكتبة جامعة لايدن . راجع ايضا H.J. de Jonge, The Auction Catalogue of the Library of J.J. Scaliger, Utrecht, 1977 تم مناقشة مواضيع خاصة في H.J. de Jonge, 'Joseph Scalinger's Greek-Arabic lectionary' in: Quaestiones Leidenses. Twelve studies on Leiden University Library and its holdings published on the occasion of the quatercentenary of the University by "Quaerendo", Leiden 1975, pp. 197-208 and P. S.J. van Koningsveld, The Latin-Arabic Glossary of the Leiden University Library, Leiden 1976.

(١٤) حول بودويل ولايدن راجع آلستير هاملتون William Bedwell the Arabist 1563-1632, Leiden 1985, pp. 37-47.

(١٥) حول فن الطباعة العربية ، راجع Christianus Fr. de Schnurrer, Bibliotheca Arabica (1811), repr. Amsterdam, 1968 R. Smitskamp, Philologia Orientalis, 2 vols., Leiden 1976-1983; Josée Balagna, L'imprimerie arabe en occident (XVIe, XVIIe et XVIIIe siècles), Paris 1984. (١٦)

R. Smitskamp, Philologia Orientalis, vol. 1, p. 16. حول دار مديسي للطباعة، راجع Guglielmo Enrico Saltini, "Della Stamperia Orientale Medicae e di Giovan Battista Raimondi", in: Giornale Storico degli Archivi Toscani, 4, 1860, pp. 257-308; Robert Jones, The Medici Oriental Press (Rome 1584-1614) and Renaissance Arabic Studies, Exhibition Leaflet at SOAS, London, May-June 1983. (١٧)

A. Hamilton, William Bedwell, p. 87. (١٨)

- Ernst Braches, "Raphelengius's Naschi and Maghribi. Some reflections on the origin of Arabic typography in the Low Countries" in: *Quaestiones Leidenses*, pp. 24-34. Cf. also H.D.L. Vervliet, *Sixteenth-century printing types of the Low Countries*, Amsterdam 1968-1969, pp. 316. (١٩)
- Cf. Juynboll, *Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars*, pp. 36-45. (٢٠)
- cf. *Uitgevers en boekdrukkers in het Noorden*, 'مورتيوس - متحف بلانتان - مورتيوس', (٢١) توجد نسخة الخطاب الملحق في متحف بلانتان - مورتيوس، (ca. 1580-17de eeuw). De betekenis van de Antwerpse emigratie. Tentoonstelling Museum Plantin-Moretus, 9 november-29 december 1985, Antwerpen 1985, p. 19.
- A.H. de Groot, *The Ottoman Empire and the Dutch Republic. A History of the earliest diplomatic relations 1610-1630*, Leiden 1978, pp. 83-229. حول التعاملات التجارية الهولندية مع ليفانت، راجع (٢٢)
- J.J. Scaliger, *Epistolae omnes*, pp. 692-696. (٢٣)
- J. Juynboll, *Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars*, p. 52. (٢٤)
- Juynboll, *Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars*, pp. 53-58; H.F. Wijnman, "Jan Theunisz alias Joannes Antonides (1569-1637), boekverkooper en waard in het Muziekhuis 'D'Os in de Bruyloff' te Amsterdam", in: *Jaarboek Amstelodamum*, 25, 1928, pp. 29-123; id., "De Hebraicus Jan Theunisz. Barbarossius alias Johannes Antonides als lector in het Arabisch aan de Leidse universiteit (1612-1613). Een hoofdstuk Amsterdamse geleerden-geschiedenis" in: *Studia Rosenthaliana*, 2, 1968. حول ثيونيسز، راجع (٢٥)
- Alastair Hamilton, "The Victims of Progress: The Raphelengius Arabic Type and Bedwell's Arabic Lexicon" in *Liber Amicorum Leon Voet*, Antwerp 1985, pp. 97-108. (٢٦)
- Juynboll, *Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars*, pp. 59-118; Fück, *Die arabischen Studien*, pp. 59-73; M.Th. Houtsma, "Uit de Oostersche correspondentie van Th. Erpenius, J. Golius en Lev. Warner" in: *Letterk. Verh. Der Koninkl. Akademie*, 17, 1887, pp. 1-24. (٢٧)
- Hamilton, *William Bedwell*, pp. 85-88. (٢٨)
- Hamilton, "The Victims of Progress", pp. 102-107. (٢٩)
- Leonard Willems, "De herkomst van het typografisch materiaal van T. Erpenius" in: *De Gulden Passer*, N.R., 9, 1931, pp. 83-90; David W. Davies, "The provenance of the Oriental types of Thomas Erpenius" in: *Het Boek*, 30, 1949-51, pp. 117-122. قارن (٣٠)
- Géraud Duverdiér, "Les débuts de la typographie orientale. Les Caractères de Savary de Brèves et la présence française au Levant au "Les impressions orientales en Europe et le Liban" in: *Le livre et le Liban*, Paris 1982, pp. 157-254; *Lettres et Visages du Liban et de l'Orient*, Dijon 1983. قارن دراسات (٣١)
- [Robert Jones], *Arabic Books* (Bernard Quaritch Catalogue 1058), London 1986. راجع الملاحظات حول هذا وحول مطبوعات اربينوس الاخرى في (٣٢)
- H.J. de Jonge, "The Study of the New Testament" in: *Leiden University in the Seventeenth Century*, pp. 65-109, esp. p. 70. قارن ملاحظات (٣٣)
- J.G.T. Oates, "The Manuscripts of Thomas Erpenius" in: *Bibliographical Society of Australia and New Zealand, Occasional Publication*, 1, Melbourne 1974, pp. 1-17. قارن (٣٤)
- Juynboll, *Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars*, pp. 119-183; Fück, *Die arabischen Studien*, pp. 79-84; Houtsma, "Uit de Oostersche correspondentie", pp. 24-107. (٣٥)
- J.J. Witkam, *Jacobus Golius (1596-1667) en zijn handschriften*, Leiden 1980. قارن (٣٦)
- John A. Haywood, *Arabic Lexicography. Its History and its Place in the General History of Lexicography*, Leiden 1965, pp. 122-132. قارن (٣٧)
- H.J. de Jonge, "The Study of the New Testament", pp. 72-74. قارن (٣٨)
- Juynboll, *Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars*, p. 188. (٣٩)
- Fück, *Die arabischen Studien*, pp. 91-92. (٤٠)
- Juynboll, *Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars*, p. 222-234; Houtsma, "Uit de Oostersche correspondentie" pp. 107-115. (٤١)
- Levinus Warner and his Legacy. Three centuries Legatum Warnerianum in the Leiden University Library, Leiden 1970.
- Juynboll, *Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars* (٤٢)

- H.F. Wijnman, "An Outline of the Development of Ethiopian Typography in Europe" in: *Books on the Orient*, Leiden, 1960, pp. x-xxviii, esp. pp. xxiv-xxv. المذكور اعلاه، ص ٢١٢ - ٢١٥. حول نيستليوس وبطراوس كتابيين بالاثيوبية، راجع (٤٣)
- Juynboll, *Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars*, pp. 240-241. (٤٤)
- Felix Klein-franke, *Die klassische Antike in der Tradition des Islam*, Darmstadt 1980, pp. 52, 56-62. (٤٥)
- Juynboll, *Zeventiende-eeuwsche Beoefenaars*, pp. 240-241. (٤٦)
- Jan Nat, *De studie van de Oostersche talen in Nederland in de 18e en de 19e eeuw*, Purmerend 1929, pp. 12-21; Fück, *Die arabischen Studien*, pp. 102-103; Brugman & Schröder, *Arabic Studies in the Netherlands*, pp. 23-25. (٤٧)
- Nat, *De studie van de Oostersche talen*, pp. 38-57; Fück, *Die arabischen Studien*, pp. 105-107; Brugman & Schröder, *Arabic Studies in the Netherlands*, pp. 26-28. (٤٨)
- Nat, *De studie van de Oostersche talen*, pp. 59-63 and Fück, *Die arabischen Studien*, pp. 108-124. تم وصف هذا الجدل في (٤٩)
- Edward Gibbon, *Decline and Fall of the Roman Empire*, London 1978 (Everyman edition), vol. 5, p. 293. (٥٠)
- استعنت في كتابة هذه المقالة بنصح وارشادات السيد ر. سميتسكامب